﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

[الزخرف: 37]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لَمّا بيَّن تعالى في الآيةِ السّابقةِ أنَّ مَن تعامَى عن ذِكْر اللّه؛ سلَّطَ اللّه عليه شيطانًا يُلازمُه، فهو يُزيِّنُ له العمَى، ويُخيِّلُ إليه أنَّه على عين الهُدى والحقِّ؛ بيَّن في هذه الآيةِ أجلَّ ما يفعلُه القرينُ الشَّيطانُ في قرينِه العاشي عن ذِكْرِ اللّه، وهو صدُّه عن السَّبيلِ الحقِّ، الذي لا سبيلَ سواهُ، وتزيينُ القبيح له جميلًا، وتزيينُ سوء العمل له حسَنًا، فيحسبُ العاشي أنَّه على هُدًى.

القرينُ يزيدُ العاشي ضَعْفًا؛ فيصدُّه عن الحقِّ، ويُزيّن له الهدى

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى: إنَّ هؤلاءِ العاشين عن ذِكْر الملِك ذي الجلال والإكرام الكثيرينَ يسيطرُ شياطينُهم عليهم سيطرةً قويَّةً شديدةً، إلى حدِّ أنَّهم يُقبِّحون لهم الحقَّ، مِن الإيمان والقرآنِ والرَّسول وغير ذلك، ويُعظِّمون لهم الباطلَ، مِن الكفرِ والمعاصي وغيرِ ذلك، فينقادون لهم انقيادًا تامًّا، وهم يَفْهَمون أنَّهُم على حقٍّ وصوابٍ.

صدَّتْهُم الدُّنيا عن الرَّحمن إلى الشَّيطان، فزادَهُم الشَّيطانُ صدًّا عنه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواو في: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: يحتمل أن تكون واو الحالِ، والجملةُ الَّتي بعدَ الواوِ مُتفرِّعةٌ مِن جملةِ: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، فهيَ حالٌ مِن الضَّمير في هذه الجملةِ، أي: مقارنةَ صدٍّ عن السَّبيلِ[1]، ونظْمُ هذا المعنى الَّذي يُصرِّحُ بعملِ الشَّيطانِ؛ إذ

سياقُ الآية يعملُ على إبرازِ شدَّة عداوة الشَّيطان، وخطرِ العشا عن الذِّكْرِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 87، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 211.

ليس في الآية السّابقة تصريحٌ بعملٍ له حالًا؛ إبلاغًا في التَّرهيبِ مِن الإعراض عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ، والتَّنفيرِ منه، فإنَّه سببُ الاقترانِ بالشَّيطانِ الصّادِّ عن سبيلِ اللّه.

ويحتمل أن تكون الواو عاطفة، عطفت قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ على ما قبلها، من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[1].

سِرُّ التَّوكيد بـ(إنّ) واللّام:

ليس للصّادِّ عن آيـات اللـه إلّا سوء المصير

أكَّد القرآنُ مضمونَ الجملة: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ بـ(إنَّ) واللّام المزحلقة؛ مواجَهَةً لِما يتقرَّرُ في نفوسِ أهل الكفر، أو نفْسِ أغلبِهِم مِن أنَّ الموسَّعَ عليه هو المُهتدِي الحقيقيُّ، وأهلُ ذِكْرِ الرَّحْمنِ مُضَيَّقٌ عليهم، وأهلُ العَشا عنه موسَّعٌ عليهم[2].

علّة التّعبير بالصَّدِّ:

الـصَّـدُّ صـورةٌ لـغـايـةِ تـمـكُّـنِ الشَّـيـاطـينَ مِـن الـعـاشِـيـنَ عـن الذِّكْرِ

أخبر القرآنُ عن الشَّياطين بالصَّدِّ عن السَّبيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهذا يُنْظَرُ فيه مِن جهتَيْن:

الأولى: التَّصريحُ بهذا المعنى المفهوم ضِمْنًا مِن جوابِ الشَّرط في الآية السّابقة: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، فهذا يُفْهِمُ الإضلالَ، ولكنَّ المقامَ يقتضِي النَّصَّ على هذا؛ لأنَّه أبشعُ ما يُمارسه الشَّيطانُ، وهو الصَّدُّ عن سبيلِ اللّه وصراطِه المستقيم، وليست الكنايةُ كالتَّصريح، وليس الَّذي يُفْهَم ضِمْنًا كالَّذي يُفْهَم نَصًّا.

والثّانية: أنَّ أهل الضَّلالة الَّذين في قبضة الشَّياطين غيرُ مُتمرِّدينَ عليهم، وغيرُ مُسْتَشْرِفينَ للسَّبيل الَّذي هو سبيلُ اللّه، فلماذا الصَّدُّ والدَّفْعُ؟ وهي كلمة شائعة في القرآن، وغالبًا ما تكونُ مفيدةً معنى الدَّفْع الَّذي فيه حِدَّةٌ وقوَّةٌ وحميَّةٌ، والجوابُ أنَّ هذا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 429.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 28.

الصَّدَّ ينظُر إلى ما استكَنَّ في الفِطرة الَّتي فطَر اللّهُ النّاسَ عليها، مِن النُّزوعِ الدّائم إلى الَّذي فطَرَها، وأنَّ الفِطرةَ ذاتُ حنينٍ إلى الَّذي فطَرَها، وأنَّ كلَّ شيء فطَرَه الله يُسبِّحُ بحمده، وأنَّ الشَّياطين يعلمون ذلكَ؛ ولهذا كانوا جادِّينَ في الدَّفْعِ والصَّدِّ، حتَّى لا تكونَ هناك نهزةٌ لهؤلاءِ المساكينِ الَّذين في أيديهم، ينظرون فيها إلى أنفسهم، فيجدون اللّهَ في هذه الأنفُس: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: 21]، وفي التَّعبير بالصَّدِّ أيضًا: إشارةٌ إلى حميَّة الشَّياطينِ وحميَّةِ عداوتهم لهؤلاء الَّذين صاروا في قبضتهم، فهُم يصدّونهم بكلِّ ما في نفوسهم مِن عداوةٍ[1].

دلالةُ التَّعبير بالمضارع في: ﴿لَيَصُدُّونَهُمۡ﴾:

الشَّيطانُ عدوٌّ مبينٌ للإنسان، لا يفتر عن إضلاله وإغوائه

نظَم القرآنُ معنى صدِّ الشَّياطينِ فعلًا مضارعًا في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذا الفعل يحدثُ، ويتجدَّدُ مِن الشَّياطينِ؛ سعيًا إلى كمال طمس بصائرهم بسَدِّ ما تبقَّى مِن منافذ الفطرة الَّتي تدعوهم بين الحين والآخَر إلى الرُّجوعِ إلى الحقِّ، قال أبو السُّعود: "وصيغةُ المضارعِ في الأفعالِ الأربعةِ؛ للدَّلالة على الاستمرارِ التَّجدُّدِيِّ؛ لقولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ فإنَّ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وإنْ كانت ابتدائيَّةً داخلةً على الجملةِ الشَّرطيَّة، لكنَّها تقتضِي حتمًا أنْ تكونَ غايةً لأمرٍ ممتدٍّ"[2]، والأفعالُ الأربعةُ هيَ: ﴿يَعۡشُ﴾ - ﴿نُقَيِّضۡ﴾ - (يصدون) - ﴿وَيَحۡسَبُونَ﴾.

معنى: ﴿عَنِ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

صدُّ الشَّياطين قويٌّ تامٌّ كاملٌ

الفعلُ: (صدَّ) يتعدَّى إلى مفعولٍ بنفْسِه ومفعولٍ بواسطةِ الحرفِ: ﴿عَنِ﴾ الَّذي معناه المُجاوَزةُ؛ لأنَّ المُتعلَّقَ بالفعل متروكٌ، وهو سبيلُ اللّه، والمعنى: أنَّ الشَّياطينَ يعملونَ على أن يتجاوزَ هؤلاء

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 364 - 365.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 87 - 88، والقنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 12/ 355.

العاشون عن ذِكْر الرَّحْمنِ هذا السَّبيلَ، وهم قد تجاوزوه فِعْلًا؛ فكان الحرفُ: ﴿عَنِ﴾ فيه مزيدُ بيانٍ للصَّدِّ عن هذا السَّبيلِ الَّذي يُحرِّكُ أهل الكفر بين الحين والآخر؛ للنَّظَر فيه، ومزيدُ بيانٍ لشدَّة عداوة الشَّياطين، كما في الفعلِ الَّذي تعدَّى إلى مفعولِه الثَّاني بواسطتِه.

علَّة التَّعبير بـ: ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾:

بالسَّبيلِ تظهرُ الحِدَّةُ والحَمِيَّةُ الَّتي تكونُ في الصَّدِّ

جعَل القرآنُ المصدودَ عنه ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ والمقصودُ به هنا هو سبيلُ اللّه، الَّذي هو سبيلُ المؤمنينَ، وهو الصِّراطُ المستقيمُ، وهو راجعٌ إلى الذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، والقرآنُ عبَّر عن طريقِ المؤمنين الَّذي هو هُدَى اللّه ودينُ اللّهِ بالسَّبيلِ؛ تأكيدًا للإنكار على من صدَّ عنه؛ لوضوحِ الحقِّ ونورِ الهدى فيه، فإنَّ السَّبيلَ في اللُّغةِ الطَّريقُ وما وضَحَ منه، فكان فيه سهولةٌ[1]، فكيف يُصدُّ عن الحقِّ الظَّاهر البيِّن اليسير.

بلاغةُ تعريف ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ بـ(ال):

يتمكَّنُ الخَصْمُ مِـن عـدوِّه؛ إذا عـرَف كيف يتمكَّن منه

نظَم القرآنُ المصدودَ عنه طريقَ الحقِّ المُعبَّرَ عنه بالسَّبيلِ مُعرَّفًا بـ(الـ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهذه الألفُ واللّامُ فيها معنى الكمال، ويجوز أن تكونَ للجِنْس، فهي تُؤذِنُ بأنَّ سبيلَ اللّه هو السَّبيلُ، وأنَّ اللَّفْظ إذا أُطْلِقَ؛ لا يَنْصَرِفُ إلّا إليه، فهو الطَّريقُ الَّذي مَن حادَ عنه هلَك؛ لأنَّه لا طريقَ في الحقيقةِ سواهُ[2]، وقد أدرك الشَّياطينُ ذلك كلَّه، فعملوا على صدِّ أهل الكفر عن ذلك السَّبيلِ.

بلاغةُ جملة الحال ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

هذا هو حالُهُم الجديدُ، بعدَما صارَ الشَّياطينُ قرناءَهُم

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ واو الحال، والجملةُ بعدَها حالٌ مِن مفعولِ: (يصدّون) بتقديرِ المبتدأ، أو مِن فاعلِه، أو

(1) ابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات: (سبل).

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 28، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 212، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 364، والراغب، المفردات: (سبل).

منهُما؛ لاشتمالِها على ضميريْهِما، أي: وإنَّهُم ليصدّونهم عن الطَّريق الحقِّ، وهم يحسبون أنَّهم مهتدونَ إليه[1]، ويُلاحَظُ أنَّ هذه الحالَ تولَّدت مِن جملةٍ هي حالٌ أيضًا، ونظَمَ القرآنُ معنَى هذه الجملةِ حالًا؛ لإظهارِ حال القومِ الكافرين، ولإبراز عجبه وغرابته للمُتلقِّي، فإنَّ كونَ الشَّياطينَ يصُدّونَ الكافرينَ العاشِينَ عن ذِكْرِ اللّه عن السَّبيلِ، أمرٌ مُتوَقَّعٌ حدوثُه مِن الشَّياطين، فأمّا العجيبُ الغريبُ حقًّا؛ فهوَ أن يصلَ حالُ الكافرينَ إلى اعتقادِ أنَّ الشَّياطينَ مهتدونَ؛ ولذلكَ أتَى القرآنُ بواو الحالِ الَّتي لا تخلو مِن معنى العطفِ ومِن معنَى المُغايَرةِ؛ لتعتني بمعنَى الحالِ، فتجعَلَه خبرًا مستقِلًّا عن ما بعدَه؛ لأنَّ صدَّهُم عن السَّبيلِ حقَّقَ نجاحًا باهرًا، وهو ألّا يكونَ الكافرونَ ثابتينَ دائمينَ في الضَّلالِ فحسب، بل أن يفهموا أنَّ الشَّياطينَ مهتدون في أنفسهم، ويهدونهم إلى الطَّريقِ المستقيم.

ويجوزُ أنْ تكونَ الضَّمائرُ في هذه الجملة: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ لأهلِ الكفرِ العاشينَ عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ المصدودينَ عن السَّبيلِ، والمعنى: أنَّهم "يحسبون أنفسهم مهتدين؛ لأنَّ اعتقادَ كونِ الشَّياطينِ مهتدَين مستلزِمٌ لاعتقادِ كونِهم كذلك؛ لاتِّحادِ مسلكِهما"[2]، وفائدةُ نظمه حالًا نفْسُ الفائدةِ السّابقِ ذِكْرُها؛ "لأنَّ الضَّلال أبشعُ ما يقَعُ فيه الإنسانُ، فإذا حَسِبَ أنَّ ضلالَه هذا هُدًى، فهذا الحِسبان أبشعُ مِن الأبشعِ؛ لأنَّ هذا الحِسبانَ يُغلِقُ في وجهه بابَ المراجعة، ويجعلُه شيطانًا إنْسِيًّا يدعو إلى ما حسِبَه هُدًى"[3].

علَّة التَّعبير بالاهتداءِ مادَّةً وصِيغَةً:

أخبَر القرآنُ عن ضمير الشَّياطينِ بصفة الاهتداءِ في قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ إذ الخبرُ وصفٌ في المعنى لصاحبِه؛ للإشارة إلى كمال الاندماجِ بين الكافرِ العاشي وقرينِه الشَّيطانِ، حتَّى إنَّ الشَّيطانَ لم يعُد قرينًا له فقط، بل صارَ قرينًا وإمامًا لهُ؛ جزاءً على رفْضِه أن يكونَ القرآنُ هادِيَه، والرَّسولُ محمَّدٌ ﷺ إمامَه؛ فقد صار الشَّياطينُ رُسُلًا للعاشين عن ذِكْرِ اللّه؛ يُزَيِّنون لهُم سوءَ الأعمالِ حَسَنًا؛ لأنَّ الهدايةَ دلالةٌ برِفْقٍ، والاهتداءُ هنا "العِلْم بالطَّريقِ الموصِّلِ إلى المقصودِ"[4].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 87.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 87، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 211 - 212.
(3) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 365.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 212.

العاشون عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ صاروا عُمْيًا عن الحقِّ الجَلِيِّ

ونظَم القرآنُ هذا المعنى اسْمًا دالًّا على الثُّبوت والدَّوام: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾، وفي صيغة الافتعالِ الدّالَّة على شدَّة الاتِّصافِ بالصِّفة، وقوَّةِ الصِّفة في الموصوف؛ للدَّلالة على كمالِ ضلالِ هؤلاء الكافرين، وكمال إضلالِ الشَّياطينَ إيّاهُم؛ فقد صاروا عُمْيًا عن الحقِّ والحقيقةِ؛ إذ هم يعتقدون أنَّ الشَّياطينَ "عريقون في هذا الوصفِ؛ لِما يستدرجون به مِن التَّوْسِعةِ عليهم، والتَّضْييقِ على الذّاكِرينَ"[1].

سِرُّ حذف متعلِّق الاهتداء:

الشَّياطينُ في بصائرِ الكافرينَ نموذجٌ في الاهتداءِ

فعلُ الاهتداء - وما يعمل عمله من المشتقّات - يتعدَّى إلى مفعولٍ بحرفِ جرٍّ، قد يكونُ: (إلى)، وقد يكونُ: (الباء)؛ ولكِنَّ القرآنَ أورَدَ قوله: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ هنا مِن غيرِ مُتعلِّقٍ، فقال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، أي: مهتدون "إلى السَّبيلِ المستقيم، وإلّا لَما اتَّبَعوهُم"[2]، وسِرُّ الحذفِ الإبلاغُ في إثباتِ اهتدائهم، بإيهام عمومِ الاهتداءِ، كأنَّهُم مهتدونَ إلى كلِّ شيءٍ حَسَنٍ، وهذا جارٍ على وجهي المعنى في الجملة، وتوفَّرَ بالحذفِ انسجامٌ صوتيٌّ يُمكِّن المعنى في النَّفْسِ، بينَ الفاصلة ﴿مُّهْتَدُونَ﴾، وما قبلها مِن فواصلَ: ﴿قَرِينٌ﴾ - ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - ﴿يَتَّكِـُٔونَ﴾ - ﴿يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: 33] إلخ، وما بعدَها مِن فواصلَ: ﴿ٱلْقَرِينُ﴾ - ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾ - ﴿مُّبِينٍ﴾ - ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ إلخ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 28.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 87.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"